



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدِينَ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الموصل

العدد الواحد والتسعون / السنة الثانية والخمسون

جمادى الأولى - ١٤٤٤ هـ / كانون الأول ٨ / ١٢ / ٢٠٢٢ م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867

E ISSN 2664-2506

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>



المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية

باللغة العربية واللغات الأجنبية

العدد: الواحد والتسعون السنة: الثانية والخمسون / جمادى الأولى - ١٤٤٤هـ / كانون الأول ٢٠٢٢م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الموصل/العراق
الأستاذ الدكتور وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور مقداد خليل قاسم الخاتوني	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرابية	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية
الأستاذ الدكتور سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأستاذ الدكتور عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتور غادة عبدالنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتور كلود فينثز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتور سامي محمود إبراهيم	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير :

التقوم اللغوي: م.د. خالد حازم عيدان	— مقوم لغوي/ اللغة العربية
م.م. عمّار أحمد محمود	— مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية

المتابعة:

مترجم. إيمان جرجيس أمين	— إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	— إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:

<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=signup> .

٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:

<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=login> .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

• تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .

• تُرتّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة. ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).

• يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال - إن اختلف الخبيران - إلى (مُحكّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

• يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .

• يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .

• يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .

• يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثية أو فرضيات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .

• يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأنّ يحدّد الغرض من تطبيقها.

• يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .

• يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتبع فيه .

• يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.

• يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحدّات فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.

• يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلّتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكرية ولا تعبّر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير فاقترضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
٢٤ - ١	الشواهد القرآنية في التوجيه اللغوي للقراءات عند الدمياطي (ت ١١١٧هـ) في كتابه: (إتحاف فضلاء البشر) - دراسة تحليلية - كلاله أحمد كلالتي و عبد الستار فاضل خضر
٤٨ - ٢٥	التوظيف القرآني للإنسان في ديوان (سماء لا تُعنون غيمها) دراسة دلالية أسامة أنور عبد الكريم دبان و محمد محمود سعيد
٧٤ - ٤٩	إعراب (لا إله إلا الله محمد رسول الله) للشيخ محمد قناوي من علماء القرن الثاني عشر من الهجرة تحقيق ودراسة صلاح الدين سليم محمد أحمد
١١٠ - ٧٥	منهج ابن آدم البالكي (ت ١٢٣٧هـ) في كتابه: مصباح الخافية في شرح نظم الكافية ومصادره ودواعي تحقيق كتابه مع تحقيق نتفة من باب تنازع العوامل دنيا محمد طاهر و صباح حسين محمد
١٣٦ - ١١١	الاستلزام الحواري لدى غرايس دراسة لنماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهلي علاهاني صبري و عبدالله خليف خضير
١٥٤ - ١٣٧	إحلال الظاهر موضع ضمير الرفع المستتر دراسة نحوية دلالية في كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي ٦٧٦هـ فاتن سالم محمود ورحاب جاسم العطوي
١٧٦ - ١٥٥	الاستلزام الحواري في أساليب رواية (سر الشارد) لعبدالله عيسى السلامة زياد طارق الحاصود و أحمد عدنان حمدي
٢٠٤ - ١٧٧	الخوف من المكان في الشعر الأندلسي - القرن الخامس الهجري - رعدة بسمان الصائغ و فواز أحمد محمد صالح
٢٢٤ - ٢٠٥	قصيدة الومضة مقاربة في ديوان (قصب يسعى أن يكون نايًا) ديوالي حاجي جاسم
٢٤٠ - ٢٢٥	المفارقة في المجموعة القصصية (مغامرات سندباب) لأحمد جار الله ياسين غسان عزيز رشيد الطائي
٢٦٨ - ٢٤١	الخلاف في رسم الألف بين البصريين والكوفيين وأثره على المحدثين محمد صديق صالح
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
٢٨٨ - ٢٦٩	الرتب العسكرية العليا في الدولة المملوكية بالاستناد الى كتاب (الوافي بالوفيات) للصفيدي (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) نهال عبد الوهاب وناصر عبد الرزاق عبد الرحمن
٣١٠ - ٢٨٩	قانون الوثام المدني في الجزائر ١٩٩٥ محمد حسين دويل وسعد توفيق عزيز البزاز
٣٢٨ - ٣١١	شريط أوزو الحدودي والصراع الليبي - التشادي (١٩٧٣-١٩٩٨) أنسام أديب الضاحي و مجول محمد محمود

٣٥٠ - ٣٢٩	تجارة الحنطة في العراق العثماني ١٧٠٠- ١٩١٤ م غسان وليد مصطفى الجوادِي
٣٦٨ - ٣٥١	الواقع الاجتماعي للمرأة البدوية في العراق من خلال كتابات الرحالة في العهد العثماني سجى قحطان قبع
٣٨٤ - ٣٦٩	فتوة الحرافيش والزعار والعياق في مصر في عصر سلاطين المماليك وتأثيرهم في المجتمع شهم فالج حميد السلطان
بحوث علم الاجتماع	
٤٢٦ - ٣٨٥	العلاقة بين الفساد والجريمة المنظمة نموذج معاصر لجرائم الياقات البيضاء - دراسة اجتماعية تحليلية - أحمد عبد العزيز عبد العزيز
٤٥٠ - ٤٢٧	أسباب اختلال الامن الاقتصادي (الفقر انموذجاً) دراسة نظرية أميرة وحيدة خطّاب و شلال حميد سليمان
٤٧٨ - ٤٥١	دور الحكّمين في قضايا الشقاق حماية للأسرة من الطلاق دراسة وصفية تحليلية ميدانية على محاكم مدينة البيضاء وضواحيها عبد العاطي فرج علي الفقيه
بحوث الفلسفة	
٤٩٦ - ٤٧٩	العلية الغائبة في فلسفة ابن رشد سامي محمود إبراهيم
بحوث الشريعة والتربية الإسلامية	
٥٣٢ - ٤٩٧	أثر ضروي حفظ المال في الشريعة الإسلامية على أموال غير المسلمين فراس فياض يوسف
٥٨٠ - ٥٣٣	التعليل بالحاجة عند الفقهاء وتطبيقاتها في المعاملات المالية سعود أزهري عبدالله
بحوث المعلومات وتقنيات المعرفة	
٦٠٢ - ٥٨١	التكسونومي الوجهي وتطبيقاته في محركات البحث للمواقع الإلكترونية في الجامعات العراقية : دراسة تحليلية عبد القادر أحمد علي الشعباني
بحوث علم النفس وطرائق التدريس	
٦٣٤ - ٦٠٣	السمات الشخصية لدى طلبة جامعة الموصل مكة نائر الدبوني وصبيحة ياسر مكطوف
بحوث المخطوطات	
٦٥٤ - ٦٣٥	الصورة الجمالية في المخطوط العربي مهدي محمد علي كصبان

العلية الغائية في فلسفة ابن رشد

سامي محمود إبراهيم *

تاريخ القبول: ٢٠٢٢/٨/٢٧

تاريخ التقديم: ٢٠٢٢/٦/٢٨

المستخلص:

لا يقتصر هذا المبحث على حدود طبيعة العلية كسببية ومبدأ للوجود في فلسفة ابن رشد، بل يبحث عن أهداف وغايات هذه العلية التي اختلف بها عن أرسطو وذلك لتأكيد أصالته وعمقه النقدي والتحليلي واستقلاله الفكري في بحث أسباب الوجود وعلله القريبة والبعيدة. فابن رشد يركز تركيزاً خاصاً على هذا الجانب، ثم يحاول بعد ذلك أن يبين هذه العلة على وفق دائرة السببية الكونية التي رسمها الخالق سبحانه وتعالى. وإذا كان أرسطو يقدّم فكرة العلية على أساس واحد، فإننا سنجد هذا الأساس، قد توسع فيه ابن رشد؛ فحاول أن يثبت ضرورة فهم العلية بوصفه مبدأً عامًا للوجود التي شكلت بدورها صيرورة الكون الأزلية، ولا سيما أنه قد أضاف جديدًا في هذا المجال، وهذه الإضافة كانت محاولة منه لحل الخلاف في أولوية هذه العلة وترتيبها الوجودي والزمني، ذلك ان حقيقة الخلق وطريقة معرفتها تستلزم دراسة فعل العلة والسبب كمبدأ مهم وأساسي يفيد القوة والتأسيس لألية فهم نظام الكون، بمعنى أننا سنرى تفسيراً لأغلب جوانب تكون الأجسام والأشياء عن طريق مبدأ العلية وقصدية نظامها الكوني الشامل؛ لذلك شكلت حقيقة فعل العلة عند ابن رشد طرحاً جديراً بالبحث، فقد أثارت نقاشاً واسعاً بين الفلاسفة والمفكرين، الأمر الذي يعكس الأهمية البالغة التي احتلها هذا الموضوع ولا سيما في فهم مسألة العالم، مادته وفعله وزمانه؛ لذلك نهدف في هذا البحث تقديم آلية فهم سببية العلة التي يرتسم بها الفاعل والوجود على وفق مبدئية التكامل الكوني وتحقيق الغائية التي فسرها ابن رشد.

وتكمن أهمية هذا البحث في محاولة تسليط الضوء على أهمية مسألة ومبدأ العلية بصورها المتعددة في رسم غائية كونية يسير بمقتضاها كلا الوجودين الطبيعي

* أستاذ مساعد/قسم الفلسفة/كلية الآداب/جامعة الموصل.

والميتافيزيقي، التي تعبر عن أصالة ابن رشد في طرح قضايا الفلسفة وإشكالات الوجود الكبرى.

الكلمات المفتاحية: العلة، الوجود، السبب، الفعل، الفاعل، الغائية، الكون.

المقدمة:

إنَّ اللامعقولية أو العبث أمور تشل إرادة الحياة، فالحياة لا تبني فوق تربة الفوضى والاتفاق، إنَّها لا تبني إلا في عالم معقول يبيِّره المعنى الغائي والقصد الذي خلقت لأجله الحياة، فالتبرير الغائي هو أبرز شروط السببية العقلية، من أجل ذلك تطلب العلية معية الغائية التي تسمح للعقل بمشاركة الحياة والعيش، ولا سيَّما أنَّ العقل يكشف صدوع السببية المادية وما فيها من عدم معقولة فيتوقف عند هذا النوع من الاغتراب الفظيع، لكن صوت الغائية يطالب بعالم منظم لا وجود فيه لمصادفة أو جواز، وهذا هو العالم الكوني الذي يمكن العيش فيه.

وبحثي هذا ينظر في القصد والغاية ليس فقط للجانب المعني من ذلك إنَّما في النظر بجميع العلل الضرورية لاتساق وتكامل كينونة السببية الوجودية عند ابن رشد؛ لذلك سنقف في هذا البحث على العلية الغائية للكون والفساد بغية تحقيق ماهيتها والدلالة على أحوالها وصيغة عملها، كما سنهدف إلى تأكيد أنَّ هذه العلل تشترك في كونها غائية وفاعلة في طبائعها، ذلك أنَّ الغائية تستحوذ على جميع العلل، فهي التي لأجلها وجد الشيء أو الفعل، وهي علية جامعة لكل معاني السبب والتأثير. من هنا سأعمل في بحثي هذا إلى إثبات العلية الغائية عند ابن رشد.

كما سأيِّن في هذا البحث أنَّ ابن رشد يبحث موضوع العلية بشكل مغاير للفلاسفة السابقين فكل فعل عنده وكل تحول يجري وفق غاية، هذه الغاية داخلية في كينونة العالم وليست خارجة عنها.

ولمَّا كانت هذه الفلسفة ترمي إلى تأصيل الثقة بالعقل وقصدية الحياة فسأتجه في بحثي هذا اتجاهًا خاصًا أقدم فيه نظرة جديدة حول نظرية ابن رشد في العلية وصلتها بالغائية، والهدف من ذلك ما وجدته من غموض وإساءة فهم أحيانًا حول موضوع السببية الرشدية التي تقرأ غالبًا في إطار ظاهري موضوعي سببي بحث يتضن إقصاء بل وإساءة فهم مشروع الغائية التي تقرأ أحيانًا على أنَّها هروب من العقل واستخفاف بالعلم، فغايتي

في بحثي هذا هي إظهار فكرة العلية الغائية عند ابن رشد في إطارها الصحيح والمناسب لها عقلاً وشرعاً، وهذا الهدف يستتبع أهداف أخرى أبرزها تحقيق وتأكيد رأيه في وحدة الكون الغائية وفق آلية سببية لا تتخالق العقل الصحيح ولا العلم الصريح؛ ولهذا رأيت أن أقسم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، يتضمن المبحث الأول: أنواع العلل وتقرير أحكامها الغائية، أمّا الثاني: فيتناول العلية الغائية تؤكد الوجود وسببية العقل. والثالث: العلاقة السببية بين الفعل والغاية، أمّا الخاتمة فأمل أن تكون متسقة مع مضمون البحث، وأبرز ما توصلت إليه من نتائج.

المبحث الأول: أنواع العلل وتقرير أحكامها الغائية:

إذا كان ابن رشد قد بحث مبادئ الوجود، وأكد أنها مؤلفة من مادة وصورة، فإنه أقر في المقابل أن المادة والصورة علتان داخليتان، أمّا الفاعلة والغائية فهما خارجيتان.

لقد قسم ابن رشد العلل الطبيعية إلى أربع علل على وفق التقسيم الأرسطي، وهي:

- ١- العلة المادية: وهي المادة التي يوجد منها الشيء.
- ٢- العلة الصورية: وهي الشكل أو الكيفية أو الصورة التي يكون عليها الشيء.
- ٣- العلة الفاعلية: وهي العلة المحركة للشيء أو هي علة وجود الشيء.
- ٤- العلة الغائية: أي ما من أجله يكون الفعل، وهي الغاية أو الهدف.

بعد ذلك قرر ابن رشد أن هذه العلل ضرورية لفهم جميع أشكال الوجود وموجوداته^(١)، لذلك فمن يرفع السببية يرفع العقل^(٢) بعدها يؤكد أن هذه الأسباب لا تكون منفصلة وإنما ترتبط فيما بينها بعلاقات سببية وجودية، فهذه العلل على وفق التصور الرشدي هي التي بمقتضاها يوجد الشيء بهيئته معينة ويشتمل على غاية.

إن دراسة ابن رشد لهذه العلل نجدها مفصلة في جميع كتبه، فنجد مثلاً أن كتبه في الإلهيات تدرس العلة على نحو يختلف عن الطبيعية، بمعنى أن العلة تأخذ في الإلهيات مسار الكلام عن الغاية والقصد "السبب الغائي"، أمّا في الكتب الطبيعية فنجده

(١) عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، ص ٦٦٣ .

(٢) ابن رشد: تفسير ما بعد الطبيعة ، ص ٤٨١. كذلك انظر: ابن رشد ، تهافت التهافت ، ص

يركز على العلل المادية والصورية والفاعلة^(١)؛ إذ نجد خلطاً بينهما واستغراقاً في متاهات كيفية، دون أن يوضّح لنا الحدود التي تقف عندها الغاية.

وإذا رجعنا إلى نظرية ابن رشد في السببية سنجد حضوراً أرسطياً، فضلاً عن حضور فلاسفة إسلاميين كالكندي وابن سينا^(٢)، تمثل ابن رشد هذه العناصر كلها وخرج بنظرية في السببية تختلف عن نظريات من سبقوه^(٣)، فإذا كان أرسطو قد أكّد على أنّ العلة الأولى لا تعدّ علة فاعلية، بل علة غائية، فإنّ ابن رشد يذهب إلى أنّها علة فاعلة ولها أفعال العلة الغائية^(٤)، ومن هنا اختلف ابن رشد عن أرسطو^(٥)، وبهنا هنا أن نعرض لما قرره ابن رشد في هذه المسألة حسب ما يقتضيه مذهبه في الوجود.

إلى هذا الحد يقوم ابن رشد بتفصل هذه العلل ويبدأ بالعلة المادية ويرى أنّها التي تقال على العنصر والمادة، مثال ذلك ما يقال إنّ مادة النحاس هي علة الصنم^(٦)، فالعلة المادية إذاً هي العلة التي يكون بها الشيء كامن بالقوة، وما يؤكّد ذلك أنّ المادة بحسب ابن رشد تفتقر إلى فعل الصورة. فإذا كان النحاس يمثل العلة المادية للصنم، فإن شكل الصنم وما هو عليه من هيئة وتشكل يمثل العلة الصورية^(٧)، بهذا التفسير نجد تقارباً بين العلة الصورية والعلة الغائية، وبهذا تكون العلل اثنان: علة مادية منفصلة وعلل ثلاث أخرى تجمعها الصورة التي بمقتضاها يكون الشيء على ما هو عليه^(٨)، وإذا وصل ابن

(١) خليل شرف الدين : ابن رشد ، الشعاع الاخير ، ص ٧٣ . وقارن :

- Averroes : tahafut AL Tahafut , ven Den Berg , London , 1228 , P. 335-338

(٢) حسام الالوسي: فلسفة الكندي وآراء القدامى والمحدثين فيه ، ص ٢٦١ .

(٣) عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، الطبعة الثالثة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٤٨ .

(٤) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ١٤٦ .

(٥) ابن رشد : تهافت التهافت ، ص ٧٨٤ . كذلك انظر : Burent . J. : Greekphilosophy , London 1968 , P . 67

(٦) ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ، ج ٣ ، ص ٤٨٣ .

(٧) ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ، ج ١ ، ص ٨١ .

(٨) ابن رشد: تفسير ما بعد الطبيعة ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

رشد إلى هذه النتيجة فقد تسنى له القول بأن الصورة هي المعنى الذي به صار الموجود متحققاً في الوجود^(١).

وعلى ذلك فمن المستحيل عند ابن رشد أن يتكون الشيء عن اللاشيء، وإنما عن مادة تسبقه أصلاً، فالكون عنده يتطلب وجوداً بالقوة، وهذا الوجود يخرج إلى الفعل عن طريق الفاعل^(٢).

وهكذا تتحدد عند ابن رشد علاقة الفاعل بالحركة التي من خلالها يرمي إلى تقديم صورة جديدة تتعلق بمسألة خلق العالم، فالعلة الفاعلة هي التي تخرج الشيء من القوة إلى الفعل^(٣). وهنا تكمن أهمية هذه العلة بالنسبة لابن رشد. فهي مبدأ وجود الشيء^(٤).

أمّا العلة الغائية فهي ما من أجله الشيء، وهي كالتمام والكمال مثل: الصحة علة المشي^(٥).

وعلى هذا فالعلة الغائية هي الصورة النهائية التي يتطلع إليها الفاعل، كما إنها تعد المبدأ الذي يعين الفعل ويدفع إليه، وبهذا ترتبط العلة الغائية بمبدأ التحقق بالفعل والسكون عند غاية^(٦).

إلى هنا يجب أن نشير إلى أنّ دراسة ابن رشد لهذه الجوانب تعد من الأمور الغاية في الأهمية، صحيح أنه في شروحه على أرسطو وفي كتبه الخاصة يفيض في دراسة السبب المادي. ولكننا سنلاحظ حضوراً أكثر للسبب الغائي^(٧). وهذا السبب وإن

(١) نجيب فحول : الغزالي وابن رشد ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ١٣٤ .

(٢) مدني صالح: الوجود (بحث في الفلسفة الإسلامية)، مطبعة المعارف ، بغداد، ١٩٥٥، ص٦٤ .

(٣) ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ، ص ٥٠ .

(٤) ارسطو : الطبيعة ، ج ١ ، ص ١٣٦ . ينظر كذلك :

M.G.E Vans : the physical philosophy of Aristotle , (University New Mexico , press 1964) P. 70

(٥) ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة، ج ٢ ، ص ٤٨٤ . وقارن : ارسطو، الطبيعة ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

(٦) عمر فروخ : المنهاج الجديد في الفلسفة العربية ص ٢٦٣ .

(٧) حسام الالوسي: دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي ، ص ١٣٨ .

كان قد اختلف في المنهج العلمي الحديث ؛ إلا أنّ ابن رشد يبحث في أسباب الوجود مؤكداً على وجود علة غائية تسير بمقتضاها رحلة الوجود.

لهذا كله وعلى وفق ما تقدّم يقرر ابن رشد أنّ القول بإنكار وجود الأسباب الفاعلة التي تشاهد في المحسوسات قول سفسطائي، والمتكلم بذلك إمّا جاحد بلسانه، وإما منقاد لشبهة سفسطائية^(١).

أمّا الغزالي فقد خالف ابن لرشد في مسألة السببية، فهو يرى أنّ الاقتران بين السبب والمسبب إنّما هو اقتران عرضي جائز، مرده إلى حكم العادة، لا إلى الضرورة العقلية^(٢). ويرد ابن رشد من خلال إقراره لمبدأ الضرورة في هذا التلازم والمساوقة^(٣)، إذ يرى أنّ السبب متى وجد فقد وجد المسبب، وهذا هو أساس مبدأ السببية، إذ لا شيء يحدث بالمصادفة^(٤).

لهذا يمكن القول إنّ التلازم بين العلة والمعلول، بين الله والعالم إنّما هو تلازم ضروري^(٥).

ولتوضح ذلك يرى ابن رشد أنّ الموجود لا يفهم إلا من أسبابه الذاتية، فبدون هذه الأسباب لا نستطيع التمييز بين الموجودات، عندها سترتفع طبيعة الموجود ويتحول إلى العدم^(٦). فلكل شيء طبيعة وفعل معين، فالنار مثلاً طبيعتها الإحراق^(٧).

(١) ابن رشد : تهافت التهافت، تحقيق سليمان دنيا ، ١٩٦٤، ص ٧٨١ . كذلك: نجيب فحول، الغزالي وابن رشد، ص ١٢٧ .

(٢) ابن رشد : تهافت التهافت ، ص ٧٨٣ .

(٣) ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ، ج ١ ، ص ٤٤ .

(٤) محمد عبد الرحمن مرحبا : من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية، منشورات عويدات ، بيروت، ١٩٧٠، ص ٧٥٦. كذلك ، ينظر : محمد علي ابو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي ، ص ٨٤ .

(٥) حسام الالوسي : دليل المشاهدة ، ضمن مجلة الفكر الجديد ، بغداد، ١٩٦٦، ص ٩ .

(٦) ابن رشد : تهافت التهافت ، ص ٧٨٢ . كذلك :

Jaeger w.w.: the theology of the early gree K philosophers ; Oxford 1936 . P.

(٧) ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ، ج ٢ ، ص ١١٥٢ .

وخلاصة القول إنّ ابن رشد يؤكد على وجود أسباب للموجودات من خلالها نتعرف على أفعالها وغاياتها، فالسببية عنصر مهما في العلم العوم المعاصرة، ولا سيّما أنّ جميع العلوم تهدف إلى معرفة الأسباب، فمن يستطيع أن ينكر السببية لا يستطيع أن ينكر الفاعل، ومن يستطيع أن ينكر الفاعل لا يستطيع أن ينكر الموجود، فكل فعل لابد له من فاعل. وهذا هو مبدأ ابن رشد لفهم الموجودات وصيرورتها الأزلية، فاذا وجد السبب وجدت النتيجة.

فابن رشد قد اشترط فاعلية العلة وآثرها في المعلول لاستكمال صفة الفعل كسبب غائي. فالعلة لا تكون علة ما لم توجب المعلول وفقا لقصد معين وغرض يفيد معنى الوجود، وهنا تتحقق العلاقة السببية في علية متكاملة تحقق التناغم بين الأسباب والمسببات .

والخلاصة هي أنّ العالم كله قائم على النظام والانسجام والتوافق الذي منه انبثق مفهوم العلية، فتكون أية علة من هذه العلل مبدأ للتغيير الحاصل في مشروع الكون والفساد^(١). بهذا نجد أنّ جميع العلل متكاملة تهدف لغائية واحدة، ولا مجال لتبادل الأدوار بين العلل. فابن رشد وجه نقده للقائلين بعلية المادة وحدها وكذلك للقائلين بالصورة، في المقابل رفض بيان العلة الفاعلة دون غيرها من العلل، وجدنا عنده تصورا متكاملًا شاملا متحاورا لمسألة العلية والسببية قائم على ان لكل علة عملها الخاص في الوجود وهذا الدور مشروط في تأثيرها وتأثرها بالعلل الأخرى. فالعلة الغائية تؤثر في الفاعلية من جانب حركية الفعل، وعند الغاية يقف سؤال السببية عن أي شيء. لكن هذا القول مشروط بتصنيف الموجودات لا بقياسها.

فالغاية مصاحبة للوجود وتسري في كل جزء من أجزائه. إلى هذا الحد اتضح لنا ان الفاعل والغاية والنظام كلها في نظر ابن رشد داخلية ومتداخلة في العالم وليست مفارقة عنه إلا في بعض خصائصه. حتى أنّ بحثه في العلل الأخرى جميعها يشير ضمنا بردها إلى العلة الرابعة الغائية. فالغايات عنصر أساسي فاعل في الوجود وداخل في جميع الأسباب. فكل شيء في الوجود يسير نحو غاية معينة. يستقر عندها

(١) محمد عابد الجابري : نحن والتراث ، ص ٢٢٤.

ويسكن بها ويتحدد بحدودها وينتهي بها. ووفقا لابن رشد، فلكي تكون قادراً على منح العالم عقلاً سببياً يجب بالضرورة أن نستحضر فكرة الغائية، وكل ذلك من أجل تبرير الطابع الأحادي للاتجاه السببي، إذ يستحيل وجود شيء دون غاية، وإلى هذا النموذج العقلاني الديني استند ابن رشد وأثبت فكرة القصدية اللانهائية في الفعل السببي. فالأصل هو ان ننظر إلى ما هو ابعده من الفعل وأسبابه الموجبة الظاهرة. فكما أننا لا نستطيع معرفة الله تعالى إلا من خلال أسبابه وآلته كذلك لا نستطيع معرفة العقل إلا بقانون السببية الذي يثبت العقل على وفق لغاية كونية تمثل الدلالة النهائية للوجود. فغائية السببية هي غائية الوجود .

المبحث الثاني: العلية الغائية تؤكد الوجود وسببية العقل:

إنَّ مبدأ العلية لا يحكم الواقع في ذاته، أي لا يحكم الوجود خارج حدود العقل الإنساني، وإنما يحكم العقل وبالتالي إدراك العقل للواقع، أي يحكم التجربة كشيء يشتمل على مقولات العقل والمعطيات الحسية معاً، فإنَّ مبدأ العلية يفتقر إلى المشروعية الضرورية للاستخدام خارج حدود التجربة. هذه الحجة الأساسية ضد استخدام العلية فيما وراء الواقع والحياة.

خارج حدود العقل والتجربة، من الممكن أن توجد العلية في الواقع، ومن الممكن أن لا توجد، ولا يمكننا افتراض وجودها بدون أن يكون ذلك اختياراً اعتبارياً بدون أي أساس مثلماً، هو الحال مع عدم وجودها كذلك. أي لا يمكننا إثبات ولا نفي وجود العلية في الواقع بمعزل عن العقل، وغايات الخلق ومشروع الوجود.

لهذا يرى ابن رشد بان إنكار الأسباب يعني الغاء دور العلم وتكذيب للدين، كما ان علية العالم ضرورية، وليس على فعل العادة^(١).

فابن رشد ينادي بالخصائص المعينة لكل شيء، ليثبت بعد ذلك ان الفعل متقدم على القوة، فيقول إنَّ من الناس من ينكر وجود القوة المتقدمة بالزمان على الشيء الذي هي قوية عليه. واضح أن هذه الإشكالات سببها الأشاعرة الذين يذهبون -كما يرى

(١) محمود قاسم: دراسة حول مناهج الادلة، ط٣، القاهرة، ١٩٥٥، ص٣٢. وقارن : ابن رشد، تهافت

التهافت، ص٧٨٦.

ابن رشد- إلى أنَّ القوة على البناء هي مع البناء، وأنَّ البناء حين لا يبني ليس له قوة على البناء؛ لأنَّه إنَّما توجد له القوة على البناء في وقت البناء.

وواضح من هذا المثال انهم - كما يقول ابن رشد - يضعون لأفعال الموجودات كلها فاعلاً واحداً بلا واسطة وهو الله سبحانه وتعالى^(١)، لذلك يرى أنَّ ما ذهب اليه الأشاعرة يترتب عليه ألا يكون للموجودات فعل خاص طبعه الله عليها^(٢). وإذا لم يكن للموجودات أفعال تخصها لم يكن لها طبيعة خاصة^(٣). لهذا يحدد ابن رشد يحدد طبيعة فاعل الكل، الله سبحانه وتعالى فيرى أنَّ للفاعل فعلاً واحداً أزلياً.

وهكذا استنتج ابن رشد أنَّ أقوال بعض المتكلمين والفلاسفة ولاسيما في الفعلين الدائم والمؤقت أدَّت بهم إلى تعجيز الفاعل^(٤)، وهذا يظهر في قولهم الذي ذهبوا اليه بعدما عجزوا عن إقامة الدليل على فعله، هل هو فعل واحد؟ أم أفعال كثيرة؟ فقد ذهبوا إلى ان الفاعل ليس باستطاعته إعدام الموجودات، فهو يختص بالاختراع فقط. لذلك ذهبوا إلى ان الفاعل لا قدرة له على نقل الفعل أو الشيء من الوجود إلى العدم، بل له القدرة فقط على نقل الفعل من العدم إلى الوجود^(٥)، هذا الرأي يعجز الفاعل، وانه لا قدرة له على إعدام الأشياء^(٦). وإذا كان الأمر بهذا الوصف، فكيف يكون فاعلاً حرّاً مختاراً^(٧)؟ هذا من جانب، من جانب آخر يعود ابن رشد إلى درجات الفواعل، فيقول: إنَّه لا ينبغي أن يشك في أنَّ الموجودات قد يفعل بعضها بعضاً إلا أنَّها ليست مكتفية بنفسها في هذا

(١) محمد ببيصار: في فلسفة ابن رشد، الوجود والخلود، ص ١٠٤. وقارن: ابن رشد، تهافت التهافت، ص ٥٥٦.

(٢) ابن رشد: تهافت التهافت، ص ٧٩٦.

(٣) ابن رشد: تهافت التهافت، ص ٧٨٣. ايضاً، Gilson : History of Christian philosophy , P. 123

(٤) ابن رشد: تهافت التهافت، ص ٧٩٥.

(٥) ابن رشد: تفسير ما بعد الطبيعة، ج ٣، ص ١٥٠٤.

(٦) ابن رشد: تهافت التهافت، ص ٢٧٤.

(٧) حسام الالوسي: دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي، ص ١٣٦.

الفاعل، بل بفاعل من خارج، فعله شرط في فعلها، بل في وجودها أيضاً^(١). تماماً كما لا ينبغي أن يشك في أنّ النار فاعلة للإحراق، إلاّ أنّها ليست فاعلة بإطلاق، بل من مبدأ من خارج هو شرط وجودها فضلاً عن إحراقها.

فالعلة الفاعلية، اذا تعدّ مقومًا أساسيًا في غائية وجود الأشياء، وهذا يتضح من خلال تأكيد ابن رشد على أهمية هذا السبب، وأنّه يهدف لغاية^(٢)، وهذا فضلاً عن أنّ ابن رشد حين أراد أن يبيّن تأثير هذه العلة في الوجود، قال بأنّها علة غائية فاعلة في الوجود باستمرار.

واضح إذاً أنّ فكرة الخالق الموجد التي لم تكن سوى ظاهرة عرضية في مذهب أرسطو تصير عند ابن رشد محورًا للوجود، فالله تعالى الذي كان علة غائية عند أرسطو، يتحول إلى علة غائية وكلية عند ابن رشد^(٣)، فالله تعالى ليس فاعلاً فحسب، بل هو علة غائية رتبت الوجود وتستمر في خلقه وترتيبه^(٤).

ومن هنا، يمكن أن نفهم الترابط بين الفاعل والمحرك الغائي. فكما أنّ فعل الفاعل لا يتعلّق بالوجود الذي بالفعل، ولا بالعدم من حيث هو عدم، بل بالوجود الناقص الذي لحقه العدم، فإنّه من الصحيح أيضًا - كما يرى ابن رشد^(٥) - القول بأنّ العالم لما يزل يقترن بوجوده عدم ولا يزال بعد يقترن به.

(١) ابن رشد : تهافت التهافت ، ص ٧٨٧ .

(٢) فلوطرخس : في الآراء الطبيعية التي ترضى بها الفلاسفة، ضمن (ارسطوطاليس في النفس) ، ترجمة قسطا بن لوقا ، شرح وتحقيق عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ودار القلم ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٩٨ .

(٣) ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ، ج ٣ ، ص ١٧٢٤ .

(٤) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ١٨٠ .

(٥) ابن رشد : تهافت التهافت ، ص ٢٧٤ . وللتفصيلات ينظر : Burent . J. : Greek

. philosophy , London 1968 , P . 67

وبهذا يتم لابن رشد التفرقة بين المخلوقات والمصنوعات فالمصنوعات إذا وجدت لا يقترن بها عدم تحتاج من أجله إلى فاعل به يستمر وجودها، أمّا المخلوقات فبخلاف ذلك، إذ إنّ عدم مقترن بها وملازم لها لذلك فحاجتها إلى الفاعل مستمرة^(١). هكذا ، تكون فرضية الفاعل، أبرز إطار يسمح بالتأسيس لمعنى العالم المتحرك على وفق غاية لطيفة، فمن الجلي أنّ هذا الفاعل بإمكانياته اللامتناهية يكشف لنا عن مدى التداخل السببي والتفاعل بين عالمي الكون والفساد.

هكذا تفسّر العلة الغائية التي هي أبرز أجزاء العلة الكاملة، وهي التي تخرج الفاعل من القوة إلى الفعل، ومن الإمكان إلى الوجود، تكون متقدمة ذهنًا ومتأخرة وجودًا، فهي السبب لخروج الفاعل عن كونه فاعلاً بالقوة إلى كونه فاعلاً بالفعل، مثلاً النجار لا يقوم بصنع الكرسي إلا لغاية ولولا تصور تلك الغاية لما خرج عن كونه فاعلاً بالقوة، إلى كونه فاعلاً بالفعل، وعلى هذا فللعلة الغائية دور في تحقق المعلول.

ولا نتصور العلة الغائية بهذا المعنى لغناه المطلق في مقام الذات والوصف والفعل، فكما أنّه تام في مقام الوجود والفعل، فلا يحتاج في الإيجاد إلى شيء آخر وإلا كانت فاعلية الله تعالى، كفاعلية الإنسان فلا يقوم بالإيجاد والخلق، إلا لأجل الغاية المترتبة عليه لكان ناقصاً في مقام الفاعلية مستكماً بشيء وراء ذاته وهو لا يجتمع مع غناه المطلق وتفرد في الخلق.

المبحث الثالث: العلاقة السببية بين الفعل والغاية:

اتّضح لنا فيما سبق أنّ القوة الفاعلة هي قدرة الشيء على إحداث فعل معين، كما ان القوة المنفصلة هي قدرة الشيء على الانتقال من حالة إلى أخرى بتأثير فاعل أو سبب غائي^(٢).

أمّا أصل هذه الفكرة فيرجع إلى مفهوم الطبيعة، فهي في نظر ابن رشد وأرسطو مبدأ الانتقال والتغيير، هي إذاً وسط بين القوة المطلقة والفعل التام.

(١) ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ، ص ١٦٣٢ .

(٢) محمد عاطف العراقي : دراسات في مذاهب فلاسفة المشرق " ، ص ٤٨ .

كما يضيف ابن رشد مبينا فكرة العلاقة السببية بين المادة والصورة، قوله بأن المادة هي السبب للتحرك والانفعال^(١). وعلى هذا تكون الغاية عند ابن رشد صفة ملازمة للمادة. في هذا التفسير يؤكد ابن رشد على أن الهيولى بالقوة وليس لها الوجود بالفعل^(٢). كما يوضح لنا هذا التفسير أن انتقال المادة من القوة إلى الفعل استكمل بالصورة، وصار لها الوجود المشار اليه، ذلك أن الطبيعة لا تزال تحرك الشيء حتى إذا حصل على كماله الأخير سكن^(٣).

ولهذا ارتبط مفهوم الفعل والقوة بموضوع العلل الأربع التي أقرها أرسطو وابن رشد لتفسير حدوث الأشياء في العالم وفقا لغائية معينة. فلا يخرج شيء من القوة إلى الفعل إلا من قبل شيء بالفعل، لذلك كان الفعل سببا فاعليا وغائيا بالنسبة للقوة التي في المادة^(٤).

وهكذا تتحدد عند ابن رشد كما هو الحال عند أرسطو العلاقة السببية بين القوة والفعل، فخرج الشيء من حالة القوة إلى حالة الفعل يحتاج إلى سبب غائي يسكن عنده الفعل^(٥).

وإذا كان ابن رشد قد حدد علاقة الموجودات الطبيعية بمبدأ السببية، فإنه بالتالي قد أقر ان هذه العلاقة مع كونها قائمة على مبدأ السببية فإنها مقترنة بالغاية. وإقراره بمسألة تلازم السبب والغاية يمكننا القول إن الغاية عنده ما هي إلا سبب ويجب أن يكون لها مسبب. وهذا السبب هو الفاعل الأول.

(١) ابن رشد : تهافت التهافت ، ج ٢ ، ص ٧٩٦ . وقارن : جميل صليبا ، تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٤٨٣ .

(٢) ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ، ج ٣ ، ص ١٥٦٧ .

(٣) ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ، ص ١١٩٢ . كذلك ،

NASR (S.H) : an introduction to Islamic cosmological . Doctriness , London , .1904 P. 22

(٤) حسن مجيد العبيدي: العلوم الطبيعية في فلسفة ابن رشد ، ص ١٣٥ .

(٥) زينب الخضيرى : اثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى ، ص ٢٢٨ .

إلى هذا الحد يكاد يكون الأمر واضحاً بشرط أن نميز مع ابن رشد بين الذاتي والعرضي، وبين العلل الأساسية الأصلية والعلل الثانوية، ولنربط بين الغاية والسببية نقول ان الفعل لا يتم إلا بعد غاية^(١).
إلى هذا الحد نصل إلى أنّ مبدأ العلية هو أحد مبادئ العقل الرشدي، ومعناه أن لكل ظاهرة سبب معين، فكل شيء له سبب أو مبدأ يفسر وجوده. فالسببية عنده هي القانون الذي يحكم الوجود.

فقد قال ابن رشد أنّ المعرفة تستحيل بدون العلم بالسببية وقوانين العلية التي تضبط حركة الوجود لكونها معرفة الأسباب وقوانين الموجودات ومبادئها، فالمبدأ كما يقول ليس سوى السبب. وهو بهذا يخالف الغزالي الذي قال بإنكار العلاقة السببية. لذلك رفض ابن رشد الفكر التشبيهي بين الإنسان والخالق ويرى أن ليس من عادة الله سبحانه وتعالى أن يخلق شيئاً ثم يغيره. فالأشياء التي خلقها الله تعالى منذ القدم هي أشياء ذات صفات ثابتة، وما يسمى عادة بالنسبة للموجودات ليس في الواقع سوى الطبائع الواقعية التي تحدد هوية هذه الموجودات، فالعقل مجبول على إدراك الأسباب التي تؤكد صدق الواقع.

معنى هذا أنّ الأسباب الذاتية عند ابن رشد هي الأصل في كل من الوجود والمعرفة، إذ لا يفهم الموجود إلاّ بفهمها واعتبرها مساوية لحقيقة كينونة الشيء، فلو لم يكن لموجود فعل يخصه لم يكن له طبيعة تخصه، فالعلية الغائية عند ابن رشد هي علية ضرورية لا مجرد اقتران أو عادة كما يقول الغزالي. ويربط ابن رشد بين إنكار السببية وبين جحود الصانع، فيرى أنّ إنكار وجود الأسباب الفاعلة التي تشاهد في المحسوسات قول متناقض مع منطق الفكر والعقل، هو إبطال للحكمة الإلهية. فنحن بشر نستدل على وجود الله تعالى بوجود خلقه. وعلى هذا نجد ان العلية وسببيتها عند ابن رشد لا تلغي حرية الإرادة لأن الإرادة شوق تبعثه فينا المؤثرات الخارجية ولما كان العالم الخارجي بما فيه إنساننا كجسم محكوماً بتلك العلاقات السببية فإن تلك الإرادة تتحقق عند مؤاتاة الأسباب الداخلية والخارجية معاً، فكلما زاد علم الإنسان زادت حريته وتحققت إرادته. إلى

(١) محمد عمارة : المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ، ص ٦٦.

هذا الحد نجد أنَّ فلسفة ابن رشد تقوم على حجية الفصل بين عالم الغيب وعالم الشهادة، إذ لا يجوز تطبيق المعاني الإنسانية على الخصوصية الإلهية. وإزالة الخلط بين الحقيقتين حسب ابن رشد لا بد من اللجوء إلى البراهين والأدلة. أما المعجزات فإن ابن رشد يصرح علنا أنه يصعب فهمها ضمن المنظومة الفكرية للفلاسفة، هي حقيقة فوق متناول الإنسان، لذلك الإيمان بها شرط في وجود الشرائع وإثبات نسقية الكون والوجود السببية.

مع ذلك يؤكد ابن أكثر من مرة إن نفي السببية من أجل إظهار عظمة القدرة الإلهية وتثبيت المعجزة هو نفي للحرية الإنسانية وقدرته سبحانه وتعالى التي تبرز في الأسباب، إن النتيجة المترتبة على رفع السببية عدم التمييز بين الموجودات، إذ لكل موجود ماهية خاصة تميزه عن غيره. فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق القوانين والسنن والأسباب التي لا سبيل إلى خرقها وتبديلها. هذا من جانب، من جانب آخر نجد ان المادة تظهر في الطبيعة بشكل واضح. لكن ظهورها إنما يكون بسبب غائي، وهذا السبب هو الذي أهمله الفلاسفة السابقين لأرسطو، فالطبيعة تعمل لأجل غاية، وتعمل وفق قواعد وقوانين ثابتة لا تتغير. فالنظام من خصائص العالم الطبيعي، في حين تكون العشوائية من خصائص البخت والاتفاق. أما أن بعض الأفعال الطبيعية تبدو ضرورية ولكن دون غاية ظاهرة فذلك يعود إلى نظرتنا الجزئية الضيقة. فنحن إذا أمعنا النظر في هذه الأفعال داخل السياق العام للوجود، لوجدنا أن هذه الأفعال تتجه إلى غاية مقصودة، ومن الأمثلة على ذلك: قوانين علم الفلك أو الحركة الدائرية للأجرام السماوية. فهذه الأفعال ينبغي النظر إليها من خلال علاقتها بالمفهوم العام للنظام العقلاني في الطبيعة، لذلك يقرر ابن رشد أن الطبيعة لا تفعل باطلا وإنما تفعل لغاية^(١). فكما ان اللبن والحجارة انما وجدت من أجل صورة البيت. كذلك الحال في الأمور الطبيعية نجد أنَّ الغاية هي المقصودة من عمل فعل ما. فلا وجود للصدفة والبخت^(٢). فلو كانت الصورة من ضروريات المادة، لما احتاجت الموجودات في وجودها إلى فاعل أصلا، وكان مبدأ الأمور الطبيعية الاتفاق.

(١) محمد عابد الجابري: ابن رشد ، سيرة وفكر، ص ١٢٨.

(٢) ابن رشد: السماع الطبيعي، ص١٧.ايضا: Aristotle : Physica , P . 206 a , 25.

أنَّ هناك نقطة مميّزة يشير إليها ابن رشد وهي أن هناك أشياء أخرى توجد عن طريق البخت والاتفاق، لكن هل يمكن أن نعدّها أسباباً أخرى ضمن الأسباب الأربعة؟ يقرر أرسطو أن الصدفة والاتفاق علتان تصدر عنهما أشياء كثيرة فينبغي أن نبحث وننظر على أي وجه يدخل البخت في هذه الأسباب^(١)؟

إنَّ هذه الأسباب عند ابن رشد هي أسباب بالعرض، فهي ليست أسباباً حقيقية للشيء، فالذي قصد السوق لشراء حاجة فلقية الدائن وأخذ منه دينه، فإنَّ سبب أخذ الدين هو قصد الخروج إلى السوق، وليس البخت، فالبخت ليس سبباً ظاهرياً محدداً، أمّا السبب الذاتي فهو محدد وواضح. فالاتفاق إذا كان يعدُّ سبباً، فإنَّه سبب بالعرض وليس بالذات.

إنَّ هذه النتائج عند ابن رشد، أدت إلى تقرير غائية الطبيعة وتبرير كل ما ينشأ ضد هذا المبدأ من وجود للشروع والفساد وغير ذلك؛ إذ يرى ابن رشد أنَّ ما يحدث بالاتفاق ومن تلقاء نفسه لا يُعدُّ من الأشياء التي هي باضطرار ولا من الأشياء التي تتكون على الأكثر وإنَّما كونه على الأقل، وما يحدث على الأقل فإنَّه يعوق ما يحدث على الأكثر^(٢)، فالتأكيد على الغائية مميّز جداً عند ابن رشد كما رأينا، وهذا بدوره يؤدي إلى وجود دافع لحركة الأجسام الطبيعية، هذا الدافع هو الميل الذاتي نحو الكمال والغاية، نحو الصور النهائية للوجود، فإِنَّه تعالى أوجد الموجودات بأسباب سخرها لها وفقاً لغاية حتى انحفظ بذلك وجود الموجودات وتمت الحكمة.

الخاتمة:

توصَّلت في هذا البحث إلى نتائج عديدة، أبرزها:

- ١- إنَّ موضوع السببية يبقى معلقاً ضمن إطار الغائية، فلا سبب دون غاية.
- ٢- وجود النظام والغائية في الكون هو الذي يعطي مشروعاً لدراسة المستقبل والعقل والحياة. فلا شيء يثبت العقل والنقل غير السببية الغائية التي تحكم الوجود.

(١) أرسطو: الطبيعة، نشره عبد الرحمن بدوي، ص ١١١.

(٢) ابن رشد: السماع الطبيعي، ص ١٩.

٣- إنَّ قيام السببية الغائية ووجودها هو أكبر دليل على أنَّ روحًا من النظام تسري في العالم، ف وراء الأسباب الظاهرة هناك أسباب باطنة كثيرًا ما تكون مضمرة تسمى الغايات.

لقد بينت خطة البحث ومضمونه حقيقة مميّزة وهي أنَّ العلية مرتبطة بالغاية، فالأسباب مقترنة بالغايات. فقد اتضح لنا كيف استطاع ابن رشد أن يثبت قانون العلية الغائية الذي يبيت العقل ويعطي معنى للحياة وقصدية فعل الخلق والعالم، كما اتَّضح لنا أنَّ درجة اليقين العقلية المتعلقة بقانون العلية تبقى هشة بدون الغاية والقصد السببي الذي يمتد إلى ما وراء الظواهر العلية، فنحن مطمئنون مع ابن رشد بفضل النظام الكوني إلى صحة العقل والعلم بوصفه سلوكًا معرفيًا إنسانيًا مميّزًا في دائرة وجودنا والحياة؛ إذ يوجد نظام غائي يحكم العالم وفق خيرية لطيفة تثبت حياتنا والعيش عنوانها نواميس الله تعالى ولطفه وعدله ووعدده الحق الذي لا يتخلف، كما اتَّضح لنا أنَّ الخطوة الواصلة بين العدم والوجود لا يمكن تفسيرها سببيًا، ففيما قبل الوجود لا توجد أية أسباب أو علل، وإنما توجد غاية سبقتها وأخرى ستلحقها، وهذه الغاية يمكن استقرارها من خلال ملاحظة الظواهر الكونية ومن خلال الوحي الذي يقودنا العقل إلى الإيمان واليقين به.

فمن خلال ملاحظة الظواهر الكونية يتبيّن لنا بمفاهيم التكيف الدقيق والتصميم الذكي والمبدأ الأنسي، أن الكون قد رتب لتكون حياة الإنسان فيه ممكنة وفقا لغاية تحقق خلافة الله في الأرض كذروة جميلة لغايات الوجود الكبرى.

Cause Finale in the Philosophy of Ibn Rushd**Sami Mahmoud Ibrahim *****Abstract**

This topic is not limited to the limits of the nature of causality as a causation and principle of existence in Ibn Rushd's philosophy, but rather searches for the goals and objectives of this causality with which he differed from Aristotle, in order to confirm his originality, critical and analytical depth, and intellectual independence in examining the causes of existence and its near and far causes. Ibn Rushd places special emphasis on this aspect, and then tries to show these causes according to the circle of cosmic causation drawn by the Creator, Glory be to Him.

If Aristotle presents the idea of causality on one basis, we will find this basis, which Ibn Rushd expanded on. He tried to prove the necessity of understanding causality as a general principle of existence, which in turn shaped the eternal process of the universe. Especially that he had added something new in this field. This addition was an attempt by him to resolve the dispute regarding the priority of these causes and their existential and temporal arrangement, because the reality of creation and the way of knowing it requires the study of the action of the cause and the cause as an important and basic principle that benefits the strength and foundation of the mechanism of understanding the system of the universe, meaning that we will see an explanation For most aspects, bodies and things are formed by the principle of causality and the intentionality of its comprehensive cosmic system. Therefore, the fact that Ibn Rushd's action of causes formed a proposition worthy of research, as it provoked a wide discussion among philosophers and thinkers, which reflects the great importance that this topic occupied, especially in understanding the issue of the world, its substance, action and time. Therefore, we aim in this research to present a mechanism for understanding the causation of the causes that characterize the agent and existence according to the principle of cosmic integration and the realization of the finality explained by

* Asst.Prof/ Department of Philosophy/College of Arts/University of Mosul.

Ibn Rushd. The importance of this research lies in an attempt to shed light on the importance of the issue and the principle of causality in its multiple forms in drawing a universal teleology according to which both the natural and metaphysical existences go, which expresses the originality of Ibn Rushd in raising the issues of philosophy and the major problems of existence.

Key words: cause, existence, cause, action, subject, finality, universe.